حكم الاستغاثة بغير الله سبحانه

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله واصحابه ومن اهتدى بهداه ، اما بعد فقد نشرت صحيفة المجتمع الكويتية في عددها ١٥ الصادر في ١٩ ـ ٤ ـ ١٣٩٠ هـ . أبياتا تحت عنوان في ذكرى المولد النبوي الشريف تتضمن الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم والاستنصار به لادراك الامة ونصرها وتخليصها مما وقعت فيه من التفرق والاختلاف بامضاء من سمّت نفسها (آمنة) وهذا نص الابيات المشار اليها : ـ

يا رسول الله ادرك عالمـا

يشعل الحرب ويصلى من لظاها

يـا رسول الله ادرك أمـة

في ظلام الشك قد طال سراها

يـا رسول الله ادرك أمـة

في متاهات الاسى ضاعت رؤاها

الى أن قالت : —

يا رسول الله ادرك أمة
في ظلام الشك قد طال سراها
عجل النصر كما عجلته
يوم بدر حين ناديت الاله
فاستحال الذل نصرا رائعا
ان لله جنودا لا تراها

هكذا توجه هذه الكاتبه نداءها واستغاثتها الى الرسول صلى الله عليه وسلم طالبة منه ادراك الأمة بتعجيل النصر ناسية أو جاهلة ان النصر بيد الله وحده ليس ذلك بيد النبي صلى الله عليه وسلم ولا غيره من المخلوقات كما قال الله سبحانه في كتابه المبين (وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم) وقال عز وجل ان ينصركم الله فلا غالب لكم وأن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده . وقد علم بالنص والاجماع أن الله سبحانه خلق الخلق ليعبدوه وارسل الرسل وانـزل الكتب لبيان تلك العبادة والدعوة اليها كما قال سبحانه (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا اللهواجتنبوا الطاغوت)وقال تعالى (وما ارسلنامن قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا آله الا انا فاعبدون) وقال عز وجل (الر — كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ان لا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير وبشير) . فاوضح سبحانه في هذه الآيات المحكمات انه لم يخلق الثقلين الا ليعبدوه وحده لا شريكله وبين انه ارسل الرسل عليهم الصلاة والسلام للامر بهذه العبادة والنهي عن ضدها واخبر عز وجل انه أحكم آيات كتابه وفصلها لئلا يعبد غيره سبحانه والعبادة هي توحيده وطاعته بامتثال اوامره وترك نواهيه وقد أمر الله بذلك في آيات كثيرات منها قوله سبحانه وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء) الآية . وقوله عز وجل (وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه) وقوله سبحانه (فاعبد الله مخلصا له الدين الا لله الدين الخالص) والآيات في هذا المعنى كثيرة كلها تدل على وجوب اخلاص العبادة لله وحده وترك عبادة ما سواه من الانبياء وغيرهم ولا ريب ان الدعاء من أهم انواع العبادة واجمعها فوجب اخلاصه لله وحده كما قال عز وجل (فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون)

وقال عز وجل (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا) وهذا يعم جميع المخلوقوت من الأنبياء وغيرهم لأن (احدا)نكرة في سياق النهي فتعم كل من سوى الله سبحانه وقال تعالى (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك (وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، ومعلوم ان الله سبحانه قد عصمه من الشرك وانما المراد من ذلك تحذير غيره ثم قـــال عز وجل (فان فعلت فانك اذا من الظالمين) فاذا كان سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام لو دعا غير الله يكون من الظالمين فكيف بغيره والظلم اذا اطلق يراد به الشرك الاكبر كما قال الله سبحانه (والكافرون هم الظالمون) وقال تعالى ان الشرك لظلم عظيم فعلم بهذه الآيات وغيرها ان دعاء غير الله من الاموات والاشجار والاصنام وغيرها شرك بالله عز وجل ينافي العبادة التي خلق الله الثقلين من اجلها وارسل الرسل وانزل الكتب لبيانها والدعوة اليها وهذا هو معنى لا آله الا الله — فان معناها لا معبود حق الا الله فهي تنفي العبادة عن غير الله وتثبتها لله وحده كما قال الله سبحانه(ذلك بان الله هو الحق وانما يدعون من دونه هو الباطل) وهذا هو اصل الدين واساس الملة ولا تصح العبادات الا بعد صحة هذا الاصل كما قال تعالى (ولقد اوحى اليك والى الذين من قبلك لان اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) وقال سبحانه (ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) .

ودين الاسلام مبني على اصلين عظيمين احدهما ان لا يُعبدَ الا الله وحده والثاني ان لا يعبد الا بشريعة نبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وهذا معنى شهادة أن لا آله الا الله وأن محمدا رسول الله فمن دعا الاموات من الانبياء وغيرهم أو دعا الاصنام أو الاشجار أو الاحجار أو غير ذلك من المخلوقات أو استغاث بهم أو تقرب اليهم بالذبائح والنذور أو صلى لهم أو سجد لهم فقد اتخذهم اربابا من دون الله وجعلهم اندادا له سبحانه وهذا يناقض هذا الأصل وينافي معنى لا آله الا الله كما أن من ابتدع في الدين ما لم يأذن به الله لم يحقق معنى شهادة ان محمدا رسول الله وقد قال الله عز وجل (وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) وهذه

الاعمال هي اعمال من مات على الشرك بالله عز وجل وهكذا الاعمال المبتدعة التي لم يأذن بها الله فانها تكون يوم القيامة هباء منثورا لكونها لم توافق شرعه المطهر ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد متفق على صحته وهذه الكاتبة قد وجهت استغاثتها ودعاءها للرسول صلى الله عليه وسلم واعرضت عن رب العالمين الذي بيده النصر والضر والنفع وليس بيد غيره شيء من ذلك ولا شك أن هذا ظلم عظيم وشرك وخيم وقدأمر الله عز وجل بدعائه سبحانه ووعد من يدعوه بالاستجابة وتوعد من استكبر عن ذلك بدخول جهنم كما قال عز وجل (وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) أي صاغرين ذليلين وقد دلت هذه الآية الكريمة على ان الدعاء عبادة وعلى ان من استكبر عنه فمأواه جهنم فاذا كانت هذه حال من استكبر عن دعاء الله فكيف تكون حال من دعا غيره واعرض عنه وهو سبحانه القريب المجيب المالك لكل شيء والقادر على كل شيء كما قال سبحانه (واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداعي اذا دعاني فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون) وقد اخبر الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ان الدعاء هو العبادة وقال لابن عمه عبدالله بن عباس رضي الله عنهما احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك اذا سألت فسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله اخرجه الترمذي وغيره وقال صلى الله عليه وسلم من مات وهو يدعو لله ندا دخل النار رواه البخاري وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل اي الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك والند هو النظير والمثيل فكل من دعا غير الله أو استغاث به أو نذر له أو ذبح له أو صرف له شيئا من العبادة سوى ما تقدم فقد اتخذه ندا لله سواء كان نبيا أو وليا أو ملكا أو جنيا أو صنما أو غير ذلك من المخلوقات ، أما سؤال الحي الحاضر ما يقدر عليه والاستعانة به في الامور الحسية التي يقدر عليها فليس ذلك من الشرك بل ذلك من الامور العادية الجائزة بين المسلمين ، كما قال تعالى

في قصة موسى فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه وكما قال تعالى في قصة موسى ايضا فخرج منها خائفا يترقب وكما يستغيث الانسان باصحابه في الحرب وغيرها من الامور التي تعرض للناس ويحتاجون فيها الى ان يستعين بعضهم ببعض وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يبلغ الناس انه لا يملك لاحد نفعا ولا ضرا فقال في سورة الجن (قل انما ادعو ربي ولا اشرك به احدا قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا) وقال تعالى في سورة الاعراف (قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير ومامسني السوء ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون) والآيات في هذا المعنى كثيرة وهو صلى الله عليه وسلم لا يدعو الا ربه ولا يستغيث الا به وكان في يوم بدر يستغيث بالله ويستنصره على عدوه ويلح في ذلك ويقول يارب انجز لي ما وعدتني حتى قال الصديق الاكبر ابو بكر رضي الله عنه حسبك يا رسول الله فأن الله منجز لك ما وعدك وانزل الله سبحانه في ذلك قوله تعالى (اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكة مردفين وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم) فذكرهم سبحانه في هذه الآيات استغاثتهم به واخبر انه استجاب لهم بامدادهم بالملائكة ثم بين سبحانه ان النصر ليس من الملائكة وانما امدهم بهم للتبشير بالنصر والطمئنينة وبين ان النصر من عنده فقال وما النصر الا من عند الله ، وقال عز وجل في سورة آل عمران ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون فبين في هذه الآية انه سبحانه هو الناصر لهم يوم بدر فعلم بذلك ان ما اعطاهم من السلاح والقوة وما امدهم به من الملائكة كل ذلك من اسباب النصر والتبشير والطمئنينة وليس النصر منها بل هو من عند الله وحده فكيف يجوز لهذه الكاتبة أو غيرها ان توجه استغاثتها وطلبها النصر الى النبي صلى الله عليه وسلم وتعرض عن رب العالمين المالك لكل شيء والقادر على كل شيء ،

لا شك ان هــذا من اقبح الجهل بل من اعظم الشرك فالواجب على الكاتبة ان تتوب الى الله سبحانه

توبة نصوحا وذلك بالندم على ما وقع منها والاقلاع منه والعزم على عدم العود اليه تعظيما لله واخلاصا لـــه وامتثالا لامره وحذرا مما نهى عنه هذه هي التوبة النصوح واذا كانت من حق المخلوقين وجب في التوبة أمر رابع وهو رد الحق الى مستحقه أو تحلله منه وقد أمر الله عباده بالتوبة ووعدهم قبولها كما قال تعالى (وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون) وقال في حق النصارى (افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم) وقال تعالى والذين لا يدعون مع الله الاها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ، ويخلد فيها مهانا الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ، وقال تعالى(وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون)وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الاسلام يهدم ما كان قبله والتوبة تجب ما كان قبلها ولعظم خطر الشرك وكونه اعظم الذنوب وخشية الاغترار بما صدر من هـــذه الكاتبة ولوجوب النصح لله ولعباده حررت هذه الكلمة الموجزة واسأل الله عز وجل ان ينفع بها وأن يصلح احوالنا واحوال المسلمين جميعا وأن يمن علينا جميعا بالفقه في الدين والثبات عليه وأن يعيذنـــا والمسلمين من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا انه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه . . .

رئيس الجامعة الاسلامية
عبد العزيز بن عبدالله بن باز